**الدوافع الشخصية والنفسية وأثرها في صناعة الأحداث التاريخية**

**أ.د. عبدالخالق خميس علي**

**كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم التاريخ**

**يعد بيان أسباب ودوافع الحدث التاريخي وحيثياته من الأمور والمسائل المهمة في عمل الباحث في التاريخ ، إذ بدون ذلك لا يمكن فهم الحدث ولا تكتمل الصورة عنه ولا يمكن معرفة مغزاه كون هذا الشيء يقع عاتقه على الباحث. وقد تتعدد آراء الباحثين في بيان تلك الدوافع في الحدث التاريخي الواحد إذ لكل واحد منهم وجهة نظره وقناعاته ورؤيته وهي بهذا تتباين من باحث الى آخر ، فهنالك من يبرّز الأسباب والدوافع السياسية ومنهم من يبرّز الجوانب الاقتصادية أو الدينية أو الاجتماعية أو ما سواها. وقد تكون مثل تلك الدوافع صحيحة كلها أو قسم منها أو أن تكون بعيدة عن الحقيقة.**

**وقد أغفل العديد من الباحثين والمختصين الدوافع الشخصية والنفسية لصانع الحدث التاريخي ، فهي عوامل وأسباب لا يمكن إغفالها ، لاسيّما إذا ما علمنا أن القائمين على الأمر كانوا ذوي سلطات واسعة وامتيازات لا حصر لها ونعني بهم الخلفاء والأمراء والسلاطين ، فهم والحالة هذه سيكون أثرهم واضحاً في صناعة الأحداث كون الواحد منهم سيكون الآمر الناهي (اذا صح التعبير) نظراً للصلاحيات الواسعة الممنوحة لأصحاب السلطة حينذاك ، وهذا سيؤدي بطبيعة الحال الى استماتة ذوي الطموح السياسي ومحبي السلطة والحكم للوصول الى سُدتها مهما كلفهم الأمر ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل ذلك، كون صاحب السلطة يمتلك سلطات واسعة جداً ويتمتع بمميزات كبيرة وذات قيمة سواء كانت مادية أم معنوية، وبهذا ستلعب الدوافع الشخصية دوراً واضحاً في صناعة الحدث التاريخي، كون صاحب السلطة هذا سيكون أثره واضحاً وليس هنالك معارضة لحكمه إلا ماندر ، وحتى إن وجدت تلك المعارضة فهي لمنافسته على موقعه الذي هو فيه ، لذا نلاحظ أن التاريخ على طول حقبه وعصوره مليء بأحداث الانتقام والقتل في سبيل الحصول والوصول الى السلطة.**

**من هذا يمكن القول أن مثل هؤلاء سيكون دورهم فاعلاً ومؤثراً في صناعة الأحداث التاريخية ، وستلعب أمزجتهم وتوجهاتهم دوراً واضحاً في ذلك ، وكان لها الأثر الواضح في سياساتهم على الصعد كافة ولها نتائجها المهمة.**

**ويمكن ضرب مثال واحد عن ذلك وليكن عن تاريخ دولة المماليك البحرية (648- 784هـ/1250– 1382م) في مصر وبلاد الشام (على الرغم من وجود الكثير والعديد من هذه الدوافع في الحقب التاريخية السابقة) ، إذ كان سلاطين هذه الدولة من المماليك الأتراك وهم ممن تم جلبهم -على مراحل متفاوتة سابقة - من آسيا الوسطى (تركستان) عن طريق البيع والشراء أي أنهم (عبيد) بالمعنى العام، وكان مثل هذا الأمر يؤرّقهم كثيراً ، ولاسيما اذا ما علمنا أنهم في بيئة تؤكد وتهتم اهتماماً - قد يكون مبالغاً فيه - بمسألة النسب ومعرفة أصول وقبائل العوام (عامة الناس) فكيف الحال بحكّامهم؟!... ، وهذا الأمر جعل المماليك يبحثون عن وسائل عديدة لنيل المقبولية من لدن مَن يحكمون للتغلب على هذا (الشعور بالنقص)، فولَّد ذلك دافعاً نفسياً مهماً للتخلص من عُقدة النقص تلك ليرتقوا ويظهروا أنهم حماة الدين وأَولى من يحافظ على بيضة الاسلام ولاسيما أن دولتهم كانت أهم وأقوى دولة اسلامية حينذاك ، فعملوا على القيام بإجراءات عديدة تمثلت بالآتي :**

1. **إعدادهم لجيش كبير وقوي يقوده السلطان المملوكي (سيف الدين قطز) بنفسه بمعية كبار الأمراء المماليك ويمتلك دافعية ومعنويات عالية لمواجهة الزحف المغولي الذي طرق أبواب بلاد الشام في السنين الأولى من حكم المماليك، إذ حصلت المواجهة بين الطرفين في معركة (عين جالوت) في فلسطين في شهر رمضان من عام 658هـ/ أيلول من عام 1260م وكان النصر حليف المماليك الذين سحقوا الجيش المغولي في واحدة من معارك التاريخ الشهيرة.**
2. **إعدادهم لحملات كبيرة ذات عدد وعُدَّة لمواجهة خطر آخر لا يقل شراسة عن الخطر المغولي ونعني بذلك الوجود الصليبي في بلاد الشام التي شهدت سواحلها على البحر المتوسط قيام وتأسيس العديد من الممالك والإمارات الصليبية ، فشن المماليك عليهم حملات كبيرة وحجَّموا من دورهم شيئاً فشيئاً في عهود السلاطين كل من الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل ، الى أن أنهوا وجودهم بشكل تام من تلك البلاد في عام 690هـ/1291م.**
3. **تشجعيهم بشكل ملفت لعملية التأليف والكتابة في العلوم كافة بشكل عام والعلوم النقلية (الانسانية) بشكل خاص، إذ يعد عصر المماليك عصر الموسوعات والمعاجم العلمية سواء في مجال علوم التفسير والحديث النبوي والفقه واللغة والأدب والتاريخ والتراجم وكتب البلدان والجغرافية وغيرها، وذلك من أجل أن يُظهر المماليك عصرهم بأنه امتداد لتاريخ الدولة العربية الاسلامية، بما حمله وعُرف عنه من اهتمام بالعلوم المذكورة أعلاه.**

**وأخيراً وليس آخراً لابد من التوجيه كتوصيات الى الباحثين و طلبة الدراسات العليا التأكيد على هذا الدور وإبرازه وعدم تحميل الدوافع السياسية والاقتصادية وما سواهما كل تفسير لأي حدث كون العوامل الشخصية المارة الذكر ذات وقع وأثر لا يُستهان به في صناعة الحدث التاريخي .**